مواقيت البهجة

قصص

عزت القمحاوى

274
أصوات أدبية

أصوات أدبية
سلسلة نصف شهرية
تعنى بنشر الابداعات المصرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

• مواقيت البهجة - 274 - قصص - عزت القمحاوى
• الطبعة الأولى - أول ديسمبر 1999

المراسلات
باسم مدير التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

إلى أمي ...
كي تقر عينها ولا تحزن

وداع آخر

أغفى نحو ساعة قبل أن يفيق على بلل ذراعه تحت رأسها، جففت بارتباك عينيه الحمراوين، ونظرت في عينيه، من خلال الستائر كان واضحا أن ضوء النهار يحاصر الغرفة، وكانا مثل محاربين نبيلين، يعرفان أنه لا مفر، ولايريد أحدهما أن يكون البادئ برفع راية الاستسلام وإعلان حقيقة أن لحظة الفراق تقترب.

ألصق وجهه بوجهها، ضاغطا الصدر ، وقد ضفر ساقه بساقها. أخذت تلعق وجهه، وانقلبا على الغطاء. توجست من لسعة برد قد تؤذيه ، فشدت عليه طرف الغطاء وراحت تهصر ظهره بيديها ، بينما تعانقت ساقاها على خصره. وعندما تحولت حركته العنيفة إلى نعومة هامدة تكافح السكون ، أمسكت وجهه بيديها وقالت مبتسمة: لا يا حبيبي

العبيط، لا يمكن أن تعزف «فيفالدى» بعد «بيتهوفن».

كان قد بدأ عنيفا انتقاما من الفراق الموشك، ولم يتمالك نفسه فأحس بالخجل لأنه لم ينتبه إليها، قالت ـ هى التى تفهمه دون أن ينطق ـ تعرف ! هذا أيضا جميل، أشعر بك تماما، وأستقبل بانتباه اصطخاب النيل.

سكن فى حضنها ، السقف شاشة عرض يتأمل فيها الرحلتين اللتين كان عليهما أن يقطعاهما حتى يصلا إلى هذه الغرفة، بالنسبة لها : ثلاث ساعات طيران وسبع بالأتوبيس ، وساعتين من استرابة ضباط الجوازات على الحدود بين دولتين فى شبه حالة حرب، يضاف إليها خمس ساعات راحة تستأنف بعدها الرحلة لأربع أخرى. وبالنسبة له: ساعتان ونصف بالطائرة ، وساعة إلى محطة القطار، الذى تستغرق رحلته ثلاث ساعات، حسباها معا على التليفون ، لكى يصلا فى وقت واحد. وعندما لم يجدها وقف مكانه ينتظر ، معتبرا أن افتراض

وصولهما معا كان مجرد أمنية أكثر منه إمكانية للتحقق.

حقيبته إلى جواره، يبدل حمل جسده بين ساقيه، ساعة كاملة ثم تبادر إلى ذهنه أن يقطع الطريق إلى محل الورد المقابل ليشترى لها الزنبق الذى تحبه. وقبل أن يدخل التفت ليطمئن على الحقيبة التى تركها مكانها، فإذا به يراها واقفة تحدق قلقة فى الاتجاه الآخر، فجرى إليها مهللا.

ضحكا بألم عندما اكتشفا أنهما وصلا معا، ولكنهما عندما تواعدا لم يضعا فى حسابهما أن تقف شاحنة ضخمة كتلك فى ساحة رئيسية بالمدينة وتفصل بينهما بجسدها الفظ، فتصادر ساعة كاملة من وقت بهجتهما القصير.

ملابسهما على الأرض لا تزال ، كومة واحدة، أما هى فقد استدارت برأسها فى اتجاه رجليه، فبدا جسداهما فوق السرير الفوضوى مثل حية مزدوجة الرأس، جذب قدميها إلى صدره، ومال برأسه فقبلهما.

سقطا في صمت قطعه هامسا: لم يبق إلا أمر واحد ونكون فعلنا كل شيء معا.

- أي شيء؟

- أن أخونك!

- إذا شعرت لحظة بتحول قلبك فلن تراني، أم صغيري هذا فإنه جميل كغصن ويمكن لكل الطيور أن تقف فوقه! وأمسكته بإصبعين ثم تركته يسقط مستكينا.

استدار إليها مطابقا بين الجبهتين والأنفين وزوجي العيون التي جفلت من تداخل الرموش.

- قال: ياه!! عينك مخيفة من قريب، مستطيلة وعميقة مثل عيون الجنيات.. وعيني، ماذا رأيت فيها؟

- هل لابد من المغادرة؟

مد يده إلى ساعته فوق الكمودينو، وقال: للأسف ضروري.

- لماذا ضروري؟

- لأنه ضروري.. لأن هذه الغرفة ليست بيتنا،

وهذا ليس بلدنا، ولا عمل لنا هنا .

- عدنى أن نرجع إلى كل الأماكن التى رحلنا عنها، لابد أن نهزم يوما هذا الفراق .

أمسك وجهها بكلتا يديه وحدق فى عينيها، وقال بتصميم : أعدك، ثم قبلها فى جبينها، وانسحب من الفراش دون أن يجرؤ على معاودة النظر إليها.

فى الخارج كانت المدينة تعيش يوما آخر من أيامها اللانهائية، شمس لحوح تخترق سحابة رقيقة من الغبار والدخان، قائدو السيارات- يتبادلون السباب والتحيات والاعتذارات، جنود مرور لامبالين ، صبية يحملون حقائبهم المدرسية على ظهورهم وآخرون فى أتوبيسات يتابعون العالم عبر انفراجات الستائر، لم يكن هناك من يهتم بيديه متعانقتين تنتفضان سوى سائق تاكسى يراقبهما فى المرآة غاضبا ، ويقطع الطريق بوحشية إلى المحطة التى ستبدأ منها رحلة عودتها ، ثم يعود به إلى محطة القطار.

تمنى أن يضل السـائق، ويواصل الدوران إلى

الأبد دون أن يجد المحطة التى بلغوها ـ لسوء الحظ ـ بأسرع مما يتوقع، وتلقف العمال حقيبتها وألقوا بها فى مخزن الحقائب باللامبالاة نفسها التى يودع بها اللحاد جثة دون مراعاة لمشاعر أحبابها المتهالكين بين المشيعين.

تأهب الأتوبيس للحركة، جحظت عجلاته مرعبة وهى تستدير وأخذ سائق التاكسى يتطلع إليه نافد الصبر وقد بدت يداهما مثل غريقين يتشبثان ببعضهما ، وبادرَ هو ساحبا يده فى تردد، وعندما وجدت يدها حرة هرولت إلى الأتوبيس الذى اعتدل على مساره، بينما كانت عيناها تبذلان محاولة أخيرة للتشبث بشاطئ آخذ فى التباعد.

أشياء تلمع في العتمة

صـوته ينسـاب واهناً: لا.. لا ، ذلك النـهـد الصلب المقتحم ليس للمرأة التى كانت تسكن فى مواجهتى آنذاك. ذلك كان لمرضة فى مستشفى ما . ماذا كانت المناسبة؟ هل دخلته بسبب الحمى؟ لا.. فيما أظن كان المغص الكلوى الذى لم يعاودنى مرة أخرى.

نعم هو، وهذه الرائحة الخفيفة التى لا أكاد أشمها الآن هى نفسها الخليط الدبق للعرق والعطر والمطهر والمخدر التى أثارت معدتى. كانت تنظفنى من القىء الذى فاجأنى، نزعت عنى قميصى واحتضنتنى وقد وضعت وركها خلف ظهرى تحول بينى وبين التهاوى إلى السرير. كان نهدها يضغط على من فوق، نعم هذا هو الوضع الذى أتذكره لذاك النهد المشاكس ، الذى كـان للذته طعم الألم المدوخ. الآخـر ظل يطل لسنوات مـائلا من فـتحـة الصـدر مـتطاولا كـأرنب

مشاكس أمسكوه من خلفيتيه. كانت تقف فى شرفة الرابع، وأنا أجلس فى شرفة الثالث مستندا إلى الحائط. كم استغرق الأمر من الوقت لكى أقنعها بالمجىء؟

التفاصيل، التى كانت حاضرة بكل قوتها تنقطع فجأة وتترك سؤاله معلقا: كيف نزلت وعبرت الشارع أمام الجميع، مسرعة ومرتبكة؟

نفخ الهواء بنفاد صبر: ما الذى يحدث اليوم؟ لم تكن هى التى جاءت ، بل الأرملة التى تسكن الشقة المجاورة بلا شرفة. الأخرى جبنت . أشارت أمام شفتها المكتنزة إلى شارب ما ومررت كفها على رقبتها كنصل.

كان قد مضى على ذلك التعارف الصامت عام؟ عامان؟ أكثر من عام ونصف على أية حال. نحو ثلاثة أشهر من النظر المستطلع قبل أن أبدأ التلويح لها. فى البداية كانت تنسحب إلى الداخل ، ثم صارت لا تغادر ، إلى أن ردت بتلويحة مرتبكة ذات

يوم، وفى كل يوم كانت تخفف إبهام التلويحة، رافعة اليد إلى مدى أبعد، وأخذت توسع من ابتسامتها، وفتحة صدرها، وتميل على إفريز الشرفة، حتى تجلى النهدان فى تجاورهما الأليف .

ولكنها فى النهاية جبنت ! والأرملة التى فوجئت بها تطرق الشقة قالت: جئت مكافأة لك على صبرك. وفى الضوء الشحيح كنت أستطيع تمييز اختلاف اللون، أتصور أن الآخر كان أكثر طراوة. فى ذلك الوقت كانت فكرتنا عن الفخامة والإشباع لا تزال تسكن اللحم الطرى!

هه! ما هذا الخلط العجيب؟! يتذكر تماما انتفاضته وهو يجرد الأرملة من ثيابها، ويشم عطر الياسمين الذى وصله يومها خفيفا كصدى بعيد لآخر رجل تعطرت له، لكن ملمس القطيفة هذا الذى تصوره يخصها ، هو فى الحقيقة لثدى المرأة التى عاشرها خمسين عاما! ملمس المرة الأولى الذى لم يتكرر ، الثدى الذى كان له كل هذا الدفء لا

وجود له الآن، لا أثر سوى علامة : جلدة متهدلة، رداء ثدى رفع قبل صاحبته إلى السماء.

تحسس زغب لحيته . لم يعد الشعر غزيرا قاسيا كما كان. ابتسم بأسى . وهبت نسمة خفيفة حملت الجارة الأرملة بعيدا.. كيف كان ملمسها؟ ذهب أمام وحشية صوتها، الانفجار الذى محا اللمس والإبصار.

رذاذ غريب على هذا الوقت من الصيف خالط الهواء حاملا معه رائحة الندى الذى تلمع قطراته على نهد فى وضع رأسى جارح يزيح ما عداه إلى العتمة. منذ متى يعاوده هذا النهد ملحا؟ هل يبدأ الهوس بصلابة أعضاء المرأة عندما تبدأ أعضاء الرجل رحلتها المعاكسة؟

لا ناعم ولا خشن ، لكن جلده المشدود كان محببا مثل سطح ثمرة فراولة فتية، يعيق انزلاق قطرات الندى التى علقت به. قطرات شفافة تخايل العين بما تحتها من وهج، بينما استقرت قطرة أكبر من المعتاد على قمة الحلمة، تاجاً من كريستال

لأجمل قبة عرفها تاريخ العمارة.

كيف تنبعث الذكرى من الصبا الباكر بهذا الحضور الكثيف؟ هل كان يدرك لحظتها أنه سيتذكر بكل هذه الوحشة ذاك المتعذر على الوصف؟!.. لكن أى صبا هذا؟! ولماذا تبدو الأمور اليوم مختلطة إلى هذا الحد؟!

عبثا تحرث أظافره جسده فى محاولة لشحذ ذاكرتها التى لا تحمل أى ذكرى للمس نهد يقف ضالا بلا جسد يؤويه، فقط مساحة صلبة من البطن بنفس البشرة التى لها لون القهوة بالحليب ، لا أهمية لها فى ذاتها ولكنها تأتى كخلفية تخدم الموضوع الأصلى للوحة: الكثبان الذى ينحدر برشاقة ليلتحم بأرضه ، هذا النهد يبدو بلا حضور واقعى، وهذه الوحشة ليست إلا رغبة لم تتحقق فاحتفظت بحرارتها كل هذه السنين.

ربما كان لخلاسية فى فيلم برتغالى ؟

يووه ! هذا النهد كان مطبوعا على كارت بوستال

جلبه صديق من اليونان، صورة حازت طرافتها من جنون مصورها الذى سعى لإثبات علاقة ما بين المرأة والأرض. النهد الشامخ كان يتصدر اللقطة، والخلفية جبل يأخذ هو الآخر شكل النهد بمنارة صغيرة على قمته حلمة الجبل التى لم تكن مجللة بالندى.

هذا هو الأمر إذا، لم يأت الخلط إلا لأن نهد الصبا ذاك كان فى ذات الوضع، الكرم الأول الذى اعتصره كان لضيفة لا يتذكر الظروف التى نامت فيها عندهم. يتذكر المخاطرة فيرتعد ، كأنها تحدث للتو، والفتاة التى تململت قليلا، لم تفتح عينيها، ولا يعرف إلى اليوم إن كانت أحست بيده أم لا ، لأنها فى صباح ذلك اليوم لم تبد تجاوبا أو نفورا. كان ثديها كبيرا لا يناسب عذراء ، واليد الصغيرة التى تهصره لا تستطيع أن تحيط به، فكان ينبجس من بين الأصابع التى قدر لها أن تكبر وتهصر نهدا صغيرا.

انتبه للمفارقة التى يتبينها لأول مرة: النهد الأول كبير لعذراء لم تصح والأخير مستدق لعذراء لم تنم، الوحيدة التى ظلت تعاوده بكل الوضوح كجسد كامل .

عندما التقطها فى سيارته ، دعاها إلى عشاء كما يليق بصياد محترف. وبعد العشاء أصرت بعناد ونزق صبيانى على أن يصحبها إلى صالة ديسكو، أعجبته اللعبة، وعندما خرجا فى الثانية صباحا وافقت على أن تبيت عنده بشرط ألا يمسسها ، لأنها عذراء.

عارية تماما، مستلقية على ظهرها، تتأمل جسدها بأكثر مما يفعل هو، تمجد بيديها تموجاته ، من الرقبة النحيلة صعودا على الكثبان الصغيز ، لتنكسر الموجة على البطن المستدق تتوسطه الدوامة الصغيرة للسرة، التى يبدأ بعدها زغب خفيف يتكاثف ، كلما اتجهنا لأسفل مخفيا ما بين الفخذين النحيفين. ولا يدرى الآن من أين جاءه اليقين بأن

النهدين الورديين كانا يبتسمان ! سمحت ليديه أن تتبعا يديها مثل الجوقة وراء المغنى، تمسك بها أحيانا لترشدها إلى الأماكن التى ينبغى فيها التمهل، والأخرى التى تتطلب الإعادة، وتتأمل فى نشوة انبهار عينيه، فإذا حاول الاستباق ذكرته بالوعد الذى قطعه على نفسه وتابعت أسئلتها عن حياته.

كيف استسلم هكذا؟

كانت المرأة الوحيدة التى حصلت على عريه الكامل. بدأ من الطفولة الباكرة صاعدا بالحكايات إلى أن بلغ لقاءهما فى تلك الليلة وما فعلاه حتى وصلا إلى هذا السرير . وكما لو انتبهت فجأة إلى عريها ، غادرته مذعورة.

بعد ذلك لم يتعر أمام امرأة قط، وتفرغ لترتيب ذكرياته، وفى كل مرة كانت الذاكرة تخونه أكثر من سابقتها، بالنسيان والخلط، لكنه اليوم يبدو مشوشا أكثر من أى يوم مضى، والنهد الدقيق

الباسم الذى كان من المستحيل أن يلتبس عليه، تعرض كغيره للتشويش، ولم يعد يعرف إن كان للفتاة التى تعرى أمامها لآخر مرة، أم لتلك التى مرت أمامه منذ لحظات ، أم هو لثالثة لا يذكرها ، فازدادت تقلصات الألم فى وجهه وأحس بالجو يعتم ويختنق فجأة ويثقل لا تحتمله أطرافه.

هذا ما حدث

لم يكن يعرف كيف يقود سيارة، رغم أنه حقق العديد من المآثر العملية التى يحسده عليها الآخرون. وقد اعتاد طوال عمره أن ينظر بإعجاب إلى كل قائدى السيارات، ويعتبر أن مضى زمن القواد العظام الذين خلد التاريخ أسماءهم فى معارك القتال المتلاحم لايعنى انتهاء زمن البطولات ، فرمسيس الثانى، وخالد بن الوليد، وجنكيز خان، وصلاح الدين الأيوبى، ونابليون بونابرت قد تم استبدالهم بملايين من قائدى السيارات فى العالم الذين ينطلقون بأقصى سرعة على شرائط ضيقة من الأرض تحدها الأخطار التى تتمثل فى المبانى والحواجز والترع والجروف والمشاة غير الحذرين والدواب والسيارات الأخرى والتقاطعات مع خطوط القطارات وما لا يحصى من الأخطار.

وكان يعتبر أن خروج قائد السيارة منتصرا رغم كل هذه الأخطار هو أعلى آيات البطولة فى هذا العصر، ولذلك فقد كان مندهشا من الظروف التى وضعته داخل سيارة على طريق يتلوى مثل ثعبان أسود وسط الرمال التى تلمع تحت ضوء القمر، ولا يعرف كيف ظهرت فجأة تلك المدينة بعد خمس ساعات من الانطلاق المتواصل للسيارة عبر منطقة تبدو أقرب إلى طبيعة الكواكب غير المأهولة، حتى إنه عندما يتذكر تلك الليلة لا يستطيع أن يقطع هل كانت تلك المدينة حقيقة أم مجرد طيف لمع لخياله.

يتذكر أنه كان يريد أن يشرب شيئا ويريح سيارته التى لم تكن تصدر أى صوت سوى حفيف ارتطام جسدها بالهواء، ولايزال يستعيد طعم الفرح الذى حسه عندما لاحت له المدينة، ذلك الفرح الذى تبدد بعد جولتين فى شوارعها أدرك منهما أنها مدينة عديمة النفع، حتى ولو كانت حقيقية ، إذ كيف يتعامل الغريب مع مدينة مستغرقة

فى نومها إلى هذا الحد؟!

بعد الجولة الرابعة، وعند النقطة القصوى من يأسه وجد نفسه خارج المدينة، أمام بناء ضخم يتلألأ بالأضواء ينبعث منه ضجيج لا يحتمل، إلا أنه فى تلك اللحظة كان شيئا مبهجا، أوقف سيارته ودخل إلى البهو الكبير المزدحم بالبشر المتدافعين أمام المصاعد الكهربائية الضخمة، ترك نفسه للتيار الذى حمله إلى داخل أحدها، وفى أول توقف وجد نفسه مدفوعا إلى قاعة فسيحة يتصاعد منها الدفء والروائح المختلفة، وسط خليط متنافر من البشر، بعضهم يتحاور بلغات غير مفهومة، بعضهم يأكل أو يشرب، يكتب أو يرقص، أو يرتق جواربه، وبعضهم يلعب الورق.

وفجأة ظهرت فتاة مدت له من عينها حبلا من الحنان والفرح، كأنها كانت تنتظره.

عندما اشتبكت عينه بعينها تذكر القمر، وهو يؤكد أن هذا التشبيه لا يدخل فى باب المجاز الفارغ

الذى يلجأ إليه كتاب القصص الخيالية، بل إدراك تلقائى لحقيقة أن هذا الوجه الصغير غير المتناهى هو الذى كان يظلله طوال خمس ساعات من القيادة المتواصلة، نفس الاستدارة، والحاجبان الكثيفان غير المزججين هما اللذان كانا يبدوان على هيئة قوسين فى الثلث الأعلى من قرص القمر وبينهما كان هذا الأنف الدقيق الذى يحرس الآن شفتين شهوانيتين ، رغم ما يبدو حولهما من زغب الطفولة الذى يعتقد أنه كان لايزال مبللا باللبن. أما العينان اللتان أمدتا الحبل فكانت لتسبيلتهما الداعية وخز خنجر أغمد فى القلب.

ترك يده ليدها تقوده إلى مقعد خال، استغرب وجوده وسط هذا الزحام ، وأشارت إلى من أحضر له قهوته المضبوطة، دون أن تسأله، ووقفت فى مواجهته تبتسم، ولكنه لم يكن يبتسم، إذ يقول إنه أدرك منذ النظرة الأولى أنه صار رهينة عند هاتين العينين وأحس فى تلك اللحظة باختلاط المشاعر

الذى ينتاب الرهينة تجاه مختطف يعاملها برفق.

عندما انتهى من قهوته أخرج نقوده لكى يدفع فأومأت رافضة، انحنى شاكرا، ومد يده مصافحا فى محاولة يائسة ليس لاختبار قدرته على الفرار، بل لاستكشاف طول الحبل. ويقول إنها أمسكت بيده مذعورة، ويبدو أن مشهدهما جذب الأنظار، فتحول صخب المكان إلى صمت تام، وقد جمد كل واحد على وضع جسده عندما أمسكت الفتاة بيده .

نزع يده بعنف لم يكن يقصده، وجرى إلى سيارته. أدار المحرك، وقبل أن يطاوعه قلبه على الانطلاق وجدها تنقر الزجاج ففتح لها الباب سعيدا.

ولا يذكر بعد كيف وجد نفسه يغادر المدينة والفتاة بجواره، بل هو فى الحقيقة لا يدرى إن كان غادر أصلا ، لأنه لا يذكر أنه رأى بعد ذلك القمر، يتذكر فقط ابتسامتها التى كانت تتسع كلما سألها عن اسمها .

عندما وصلا إلى البيت كانت مترددة فى الدخول، أو

هكذا، تصور، ولكنها عندما دخلت فاجأته بأنها تتحرك بحرية من تعرف كل شبر فى البيت، كان متأكدا أنه بيته، لكن معرفتها بكل شيء فيه توحى بأنه بيتها.

تركها ودخل ليأخذ حماما ساخنا اعتبره فرصة ليتأمل ما يجرى له، وعندما خرج كانت تنتظره أمام العشاء، فى فستان أزرق بزهور بيضاء صغيرة، لم يعرف هل ارتدته حالا أم أنه هو الذى نسى من قبل أن ينظر إلى ما كانت ترتديه.

حاول أن يتحدث معها فى أى شىء، لكنها كانت تكتفى بالابتسام، وتطعمه، ولما أشار لها بيده علامة الشبع، قامت وقادته إلى الفراش.

فى الصباح وجد نفسه وحيدا، فتش عنها فى كل الزوايا، وعندما لم يجدها انطلق مذهولا.

ومنذ ذلك الصباح اعتاد المسافرون على الطرق الطويلة الملتوية أن يروا سيدا يقبض على مقود سيارته يسابق الريح بحثا عن مدينة نائمة، على بابها مبنى واحد صاخب، فيه فتاة سمراء.

أسنانها بشكل خاص

أما أسنانها فمثل نور الصبح، تلمع إذا أهلّت، صفان متراصان فى نعومة حرس شرف تنتمى صرامته إلى التقاليد لا القسوة، يصطف فى أناقة كى ننتبه لقدوم الملك فنستقبله بما يليق من خشية.

ويحدث أن يأتى الملك الذى صورته خيالاتنا على أنه حاصل قوة وضخامة وأناقة هؤلاء الذين يحرسونه، فإذا به شخص عادى، قد يكون قصيرا أو بادى الضعف أو بدينا، فتحاول أبصارنا النفاذ إلى الداخل بحثا عن جوهر مختلف أهله لهذا المجد. ولم يكن زمن تأمله طويلا، إذ أدرك فى وجهها ذلك الجمال الأشعث الذى لا يتحرش بالرجال. وفى عينيها اللوزتين حزن امرأة واثقة لا تعرف سببا لاستحالة تلك الخطوة التى تفصلها عن الكمال. وفى غمازتيها - عندما تبتسم - التجسيد لما

يدعوه الناس: الطيبة. وفى الشفتين الرقيقتين يبدو الدليل القاطع على عشوائية الطبيعة التى ظننا أنها لا تخطىء وقد نسيت أن تستبدل شفتى الطفولة لهذه المرأة التى تجاوزت الثلاثين، والتى لا يبدو عمرها إلا من سويتر فوضوى لا يمكن أن ترتديه إلا من دخلت المرحلة التى لا تعنينا فيها آراء الآخرين(وقد اكتشف بعد ذلك أن جسدها جميل بما لا يتناسب مع البدانة الكاذبة التى أظهرها السويتر الفضفاض، والفخذان اللتان ظهرتا لحيمتين داخل البنطلون الجينز بسبب ضغطهما على الكرسى، بهرته استدارتهما البرونزية الفتية) .

ومثل متسول يفاجىء الحرس بحركة جسور ملقيا بنفسه تحت قدمى الملك، طلب فورا تليفونها وعنوانها وكيفية لقائها مرة أخرى. كان يخشى أن تأتى عاصفة مفاجئة وتحملها بعيدا. وكما يفعل الملك بدافع من الطيبة المُدعاة تبادلت معه أرقام التليفون. وظل أياما يلاحقها برنين ملح دونما جواب .

وكأن الابتسامة التى منحها الملك للمتسول لم تكن ضمانة ضد التنكيل به وإلقائه دون ضجة فى السجن. وبمحض الصدفة تذكر الملك ذلك الشحاذ الذى اعترض موكبه، فجىء به من السجن، وبدلا من أن يهبه شيئا ويطلقه جعله أقرب أفراد حاشيته (صارحته بأنها شعرت فى البداية بانزعاج، لأنها اعتبرته فضوليا أكثر مما تحتمل. وكلما تذكرت هذا الانطباع كانت تحاول أن تعتذر بإغراق وجهه بالقبلات وتبلل دموعها وجهه وهى تنشج .وتلعن الغباء الذى منعها من رؤية هذه السعادة المكتملة منذ اللحظة الأولى).

أخذ المتسول الذى صار صديقا للملك يتلذذ بمشاركته متعة إهمال الحرس الذى يجأر بالتحية، كانت أسنانها تجزجز جسده من القدم إلى الرأس، وهو مصغ لارتعاشات جلده، وبهجة حواسه التى كانت تتفتح دفعة واحدة كوردة فاجأتها شمس الظهيرة وسط الليل ، وإذا ما لفهما خدر الارتواء

وتهاوى رأسه إلى جانب رأسها مد إصبعا يزيح الشفة الرقيقة فتتعرى الأسنان ليتحسس فيها ذلك الشيء الغامض الذى يسمى الروح، بكل تجليات مشاعرها من حزن وفرح وحيرة واطمئنان تعكسها الأسنان مثل منشور يحلل الضوء إلى عناصره الأولية.

ولأننا لا ندرك حسن أوضاعنا إلا بما ينتظرنا من سوء، فإن المتسول الذى استغنى - سعيدا - عن حريته يوما فى حركة اعتبرها جسورا صار أسيرا. راسفا فى ذلك القيد اللامرئى قطع معها الشوارع وأكل الذرة المشوية.، فى المتاحف والمساجد والكنائس الأثرية غرق فى غواية أسنانها أكثر مما تأمل الجمال الهاجع الذى تركه السابقون على هذا القدر أو ذاك من النقص حياء من اكتمال صفين من الأسنان.. فى محلات الورد حيث اعتاد أن يجفف دموعها بثلاث من عصافير الجنة.. فى المطاعم حيث علمها متعة أكل الحمام دون ألم على

مصير ذلك الطائر الجميل.. فى المصعد الأسرع من قبلة الذى ركباه يوما فى الطريق إلى صديق.. فى محلات الكاسيت، حيث علمها حب نجاة الصغيرة وعلمته حب كورساكوف.. فى الأتوبيسات والقطارات، حيث احتضن صدرها رأسه.. فى شقق أصدقاء، لم يكونوا مرحبين بهما كامل الترحيب.. فى كل مكان أحكم فيه الآخرون حصارهم كانت الوحشة تأكله، فيكشف لها عن أسنانه، وترد هى بنظرة مترددة قبل أن تطيع وتجاوبه بحركة مماثلة، فتشرق لروحه السعادة التى يتلقفها بقلق مدمن لاحت لعينه جرعة المخدر.

ولم تدم للأسير لذة الأسر، إذ تغير خاطر الملك بمحض الصدفة وردّ أخلص ندمائه إلى عرض الطريق، زمت فمها الطفولى فجأة، وتركته معطل الحواس فى انتظار نزق صفين من الأسنان قد يلمعان يوما بابتسامة.

البعيد

مثلما يحدث - عادة - فى الأحلام رن جرس التليفون الداخلى للعمارة وكان هو.

لم يفعل ذلك من قبل، لكنه جاء. قال إنه دار فى الشوارع طويلا وانتظر فى الحديقة الصغيرة المقابلة حتى لايزعجها مبكرا. قامت مثقلة بإرهاق ليلة أخرى من الأرق، ضغطت الزر لتفتح له باب العمارة.

كانت مرتبكة أكثر منها سعيدة، فقد تآلفت أكثر مع الآخر الذى اكتشفت الآن أنها بدأت تحبه. هادىء، لا يشكو من زحام الشوارع وتلوثها، لا هموم لديه فى العمل ولا التزامات تجعله مهموما حتى فى حضنها، وفوق ذلك ليس متحفظا مثله، يتركها تطعمه بيدها وتمد لسانها إلى داخل فمه تلعق نصف اللقمة. يستحم معها فى البانيو وتجعله يبول على ساقها، فيرتعش جلدها بالرغبة، ثم

يخرجان متمنطقين بمنشفتين. يستلقى على السرير وتجهز له النرجيلة، يدخن سعيدا وهو متكىء يستمع إلى ثرثرتها التى لا تنتهى بصبر وود.

ليس رجلا من أولئك الذين عرفتهم من قبل. لم يكن رجلا بالضبط. كان ضربا من الحساسية والطيبة والصمت والجنون . وبصفتها شاعرة، كانت راضية بهذه العلاقة مع «الآخر» وكانت تعتبر أن فشلها فى أن تجعله يتقاسم معها الفراش لا يحمل أية دلالة على مستوى العلاقة، بل تعتبره فشلا مهنيا عليها وحدها تجاوزه.

انتظرت الوقت الذى يكفى لوصول المصعد إلى الطابق التاسع، وقبل أن يضرب جرس الشقة فتحت له الباب. كانت ترتدى بيجامته وقد أغلقت الزرين أسفل السترة بينما تعذر إغلاق زر الصدر إذ باعد النهدان بينه وبين عروته. تجاوزها إلى الداخل وبقيت هى للحظات تنظر فى تحد من يتصادف وجوده فى الممر، ثم أزاحت الباب بقدمها فى رفق،

واستدارت فوجدته فى مواجهتها وقد نزع ملابسه دفعة واحدة، عانقها فتخلصت منه وجلست على الشيزلونج الأرابيسك. جلس على الأرض بجوارها متأبطا فخذها ، ومقيدا حركة الكرسى.

لم تكن تريد أن تتمنع عليه، ولم تلعب معه هذه اللعبة من قبل، ولكنها وجدت نفسها بحاجة أكثر إلى الكلام، إلى قول ما أحجمت عنه حتى الآن. كانت قد تحدثت معه مرارا عن متع الروح والجسد فى وجودهما معا، المتع التى تستطيع أن تجدها الآن مع «الآخر» فى غيابه، وبدافع من خوفها أن تتحول إلى عبء وواجب آخر من واجباته، تحاشت إلى اليوم الحديث عن المتع التى لا يستطيع أن يقدمها إلا هو، أن يتأبط ذراعها فى الذهاب والإياب، يلقيان التحية على الشيوخ والعجائز الذين يفترشون سلم العمارة، أن يحميها من جارها الصحفى الذى تبذل كل يوم محاولات مجهدة لتحاشى أوقات عودته أو ذهابه، ونظرته المتبجحة ، ذلك السمسار الذى بدأ

يظهر فى التليفزيون فى برنامج تافه مبررا كل أنواع المظالم ويعود بمكافأته: فتاة جديدة كل يوم، يحوطها بذراعه فى المصعد ومن وراء ظهرها يرسل نظرته المتفحصة.

أخذت تثرثر وهو يستمع بصبر وود لدرجة أنها لم تعرف إن كان هو أم الآخر من تتحدث إليه، قالت إنها تحتاج إليه لتختبىء فى صدره فى ليالى الشتاء، وعادت تحكى له عن تلك الليلة، عندما سمعت جيشا من اللصوص يعالج باب الشرفة بالمعاول، وكلما زادت خرخشات الباب انكمشت فى سريرها، وحتى لا تموت من الرعب قررت المواجهة، حملت سكينا وتسمعت على الباب بحذر، فاكتشفت أن الضجة لم تكن إلا حركة خنفساء مذعورة تحاول التسلل إلى دفء الداخل.

تابع استماعه إليها حتى النهاية ، لم يقل إنها أخبرته بتلك القصة من قبل، بل ظل فى سكونه أليفا وحزينا. مالت عليه برأسها تتشممه، وعبثا لم تتبين رائحته، الشىء الوحيد الذى يميزه عن «الآخر». ولم

تدم حيرتها طويلا، فقد أدركت من الرنين اللحوح لجرس المنبه أنها كانت تحلم.

تحسست صورته الصغيرة المتدلية بين نهديها فى سلسلة فضية أهداها إليها ذات يوم. فتحت عينيها: لازال هناك وقت. لكنها اليوم أكثر إرهاقا، قررت ألا تذهب إلى العمل، فأحست براحة وكأنها تكتشف هذه الإمكانية لأول مرة وتحولت راحتها إلى نوع خاص من السعادة وهى تفكر أنها لن تكون مضطرة لإلصاق أذنها بالباب لتتأكد من فراغ الممر، ولن تقطع المسافة إلى المصعد مهرولة ولن تغادره متلصصة لتتفادى عيون الآخرين حتى لا يكتشفوا أنها تستقطر شهوتها مع صورة صغيرة بين نهديها تتمدد فى الظلمة لتصير رجلا.

تشممت ياقة البيجامة، لم يعد سوى أثر خفيف لرائحته، مدت يدها فأخرجت من تحت الوسادة منديلا تحتفظ فيه بأظافره التى تقلمها بنفسها وشعرات رموشه وحاجبيه التى يتساقط بعضها وتنتزع هى البعض

الآخر، أخذت تتأمل أقواس الأظافر البيضاء لتحدد لأى إصبع يعود كل ظفر، وتقارن بين شعرات الرموش والحاجبين، وتفرق بين بياض الجذور وسواد الأطراف المدببة. وضعت شعرة فى فمها وأخذت تلوكها وتتحسسها بطرف لسانها بينما كانت يداها تجمعان المنديل وتعيدانه إلى مكانه، ثم قامت إلى المطبخ. أعدت قهوتها وعادت إلى السرير ترشفها مضطجعة، متأذية من مرارة تستشعرها لأول مرة فى المذاق الذى اختارته لقهوتها منذ سنوات طويلة.

وفجأة حملتها موجة أمل غامضة، ألقت بها واقفة بعيدا عن السرير. أعادت ترتيب الغرفة، نفخت التراب عن الزهور الجافة التى أهلت ذات يوم مرفرفة فى يده. فتحت باب الشرفة وجلست ترشف قهوتها ملتذة بدفء الشمس، خلعت سترة البيجامة وتمددت على السجادة تتحسس الصورة الصغيرة وتتأمل نهديها يصعدان مثل نبتتين تشقان الأرض، وعندما لم يجدا ثقل صدره أخذا فى الانكماش فجذبت السترة وغطتهما فى هدوء.

نظرته

أحكمت على أطفالها الغطاء، مالت تقبل خدودهم، توقفت لحظة تتابع تنفسهم المنتظم، ثم تراجعت إلى أول الغرفة. ضغطت مفتاح الكهرباء برفق واستدارت تقطع الطرقة على أطراف أصابعها حتى باب الغرفة الأخرى. عالجت المقبض بحنان وسرت من الفرجة الضيقة.

همست معتذرة: تأخرت عليك.. أتعبنى العيال الليلة. أخذت نفسا عميقا واتكأت بظهرها على الباب فأحكمت إغلاقه، وتقدمت خطوة لتجلس على حرف السرير.

الضوء الغائم كالحلم ينز من زجاج الشراعة المموه فيمنح الأشياء حضورا باهتا. تطلعت إليه يرمقها صامتاً المتشامخ، فهمست: سلمى صارت أحسن اليوم.. كنت خايف عليها؟ الحرارة نزلت،

والدكتور قال تاكل كل حاجة. خلصت يا روح قلبى.

ارتد بصرها إلى الأرض زائغا فى ألوان السجادة الحائلة. ثم رفعت رأسها محولة نبرها إلى مرح: أكلت يا روح أمها، عملت لهم محشى، طلبه وليد، وذبحت لهم الفرخة الحمرا العتيقة.. قطعت البيض أنت عارف، يا لله ، كثر خيرها.. تعرف؟ البطن الجديد صار ما شاء الله.. الديك بان من الفرخة.

رأت شبه ابتسامته على وجهه. تذكرت ملهوفة: صحيح .. الصبح لما طلعت للحمام لقيت أربع أزواج مفقسة، والدكر القطاوى الملعون اشتريت له نتاية جديدة، حبسته معها، العكروت هوايته يخرب الغية، لا يلوف إلا على زوجات الآخرين.

شجعتها الابتسامة التى استقرت على وجهه ، فصاحت دهشة: اسكت! تعرف من قابلت اليوم بالسوق؟ أم سمير جارتنا فى الشقة القديمة، فوجئت بها تصطدم بى وتأخذنى فى حضنها، يا ااه على طيبة هذه المرأة ! وقفنا فى الشارع ساعة..

تصور الرجل التافه زوجها لايزال يضربها فى هذه السن؟! لا تكف عن الدعاء عليه، لكن حكمتك يارب، لا يبقى على المذاود إلا شر البقر!

اختنق صوتها، وتدحرجت من عينها دمعة دارتها معتذرة، ودون أن تنظر أحست بعطر حنانه يبلل وجهها. تشجعت وتطلعت إليه باعترافها: أريدك أن تسامحنى.. ضربت سامى، الولد متعب فى المذاكرة، فى الأكل، متعب فى كل شىء، يضرب أخاه وأخته بلا رحمة، أقول يا حبيبى أنت الكبير.. لا فائدة.

أحست الحزن يخالط نظرته الحنون ، همست : لا تغضب منى.

لم تدر ما تقول بعد، أطرقت طويلا ثم قامت تطرد الصمت ، توقفت أمام المرآة، استسلمت عيناها لنظرته ، ابتسمت ، امتدت يدها تنزلق بالإيشارب، فانسدل شعرها إلى الكفل.

دارت تتأمل جسدها ، عيناه فى عمق المرآة تلمعان بالرغبة، نزعت ثوبها، رأته ينظر إليها ،

عادت تبتسم وقبضت شفتها بالأسنان، تراجعت إلى الطاولة الصغيرة بجوار السرير، تناولت زجاجة العطر، صوبتها إلى صدرها ، ضغطت المكبس فخرجت الزخة الباردة تلسع مفرق الثديين، وسالت القشعريرة إلى كامل الجسد.

انزلقت فى الفراش وأغلقت عينيها فرأته يخطو صوبها مغادرا البرواز.

سيدة الفيلا

فتحنا باب الشرفة فأدركنا - لأول مرة - موقع الفيلا التى تقف فى أقصى الشرق متعالية كعين الرب، ترقب بلا اكتراث مدينة صغيرة لا يبدو منها سوى برج كنيستها وذؤابات بيوتها الهرمية، سفينة توشك على الغرق فى بحر من الخضرة، لأن أشجار السرو لم تكتف بتطويق المدينة، بل انسربت إلى شوارعها التى بدت مثل ممرات سفينة ممتلئة بالماء.

هتفنا معا : سنشرب القهوة هنا !

من المؤكد أن القهوة لم تكن هدفنا الأساسى، بل لم تكن هدفنا على الإطلاق، فهى على أهميتها - الكبيرة بالنسبة لها، المحدودة بالنسبة لى - كان من الممكن تناولها فى مقهى. وهكذا كان تفكيرنا قبل أن نفتح الشرفة، لكن الطلة المتعالية للفيلا ذكرتنا

بفكرة لنا عن الخلود لم يكن لأحدنا فضل إقناع الآخر بها ، وهى : «إن الله يبدع مخلوقاته ويترك لها أمر تدبير خلودها».

وتلك الرغبة فى الخلود التى تدفع الناس عادة إلى التأليف أو الاختراع أو الانتصار فى الحروب أو تشييد المبانى الضخمة أو إنجاب الأطفال ، دفعتنا إلى طلب فنجان من القهوة يكون دليلا ملموسا على أننا كنا هنا يوما ، فى هذه الفيللا التى كانت التتويج الغامض لرحلة صعودنا تحت المطر فى طريق حلزونى مظلم وعنيف، حيث استقبلتنا سيدة ترتدى معطف مطر وفى يدها كشاف كهربائى يضىء جانبا من وجهها الأشقر ، تضع سبابة اليد الأخرى على فمها تطلب الصمت وتوجهنا هامسة إلى السلم، حيث الحجرات التى أعدت لنا .

سنبحث إذن عن سيدة الفيللا، وسنشرب قهوتنا هنا.

الحقيبة فى يدى والنور على السلم يكفى.

بالكاد - النزول الصامت الحذر. قادنا السكون إلى موسيقى خفيفة تنبعث من الطابق الأرضى حيث تجلس السيدة فى المطبخ، تطرز شيئا. رحبت بنا دون تحفظ وعبرت عن سعادتها بأن تقدم لنا القهوة.

وضعت إبريق الماء على الموقد وأخرجت فنجانين لنا وكوبا لها . ابتسمت عندما قلت لها إن فيللتها جميلة، قالت : تستطيع أن تعتبرها فيللتى، فأنا أعمل هنا منذ خمس عشرة سنة.

صبت القهوة وقامت إلى أحد أدراج المطبخ وعادت بمجموعة من الصور وضعتها أمامها، ثم سحبت إحداها وناولتها لنا . كانت الصورة لشابين فى نفس العمر تقريبا أمام موقد غاز فى مطبخ فسيح.

- ولداى ، قالت ، فى ألمانيا الآن.

أشارت إلى الأكثر وسامة، صاحب الشعر المسترسل الذى يبدو فتاة فى النظرة الأولى، وأضافت : الأكبر ، سافر منذ عامين ، يعمل فى

مطعم بيتزا ويحبونه جدا هناك، غادر المدرسة وساعدني في تعليم أخيه، هذا (وأشارت إلى الآخر) تخرج في كلية الحقوق، وسافر إليه منذ ستة أشهر وتركاني وحيدة.

- يتصلان بك؟

كل أسبوع .. مرتبطان بي جدا، وخاصة الأكبر، يرسلان نقودهما وأرسل لهما كل شيء من هنا، حتى الأكل، يقولان إن الأكل هناك بلا طعم.

- ربما يتزوجان هناك، وعندها سيتذوقان طعام تلك البلاد.

- لا .. مستحيل، سيعودان ليتزوجا من هنا، لا يستطيعا الابتعاد عني، والبنات هناك صعبة الطباع، لن يجدا مثل بناتنا.

ولم نشأ أن نتابع أسئلتنا عن حياتها، فقد سكن شحوب الشجن شقرة وجهها، ولكنها عادت لتقطع الصمت، ومدت يدها بصورة أخرى.

لم يكن من الصعب تبين أن الشابة التي ترتدي

لباس البحر، مع شاب يطوقها بذراعه، هى نفسها الجالسة أمامنا الآن.

- زوجك ؟

أومأت موافقة، وقالت: مات منذ خمسة عشر عاما.

ودفعت إلينا بصورة لرجل أربعينى سمين، يبدو غافيا وسط الورود داخل صندوق ، وحوله نساء متشحات بالسواد، من الذى التقط هذه الصورة محدقا فى وجه الموت لحظة انتصاره؟!

- هل كان مريضا؟

- أبدا، كان سائق قطار، وكانت لديه مخاوف حول سلامة القاطرة، قال لرؤوسائه إنه يخاف المخاطرة بحياة الركاب إذا خرج بتلك القاطرة المختلة، ولكنهم أجبروه ، وما إن خرج من المحطة حتى فاجأته ذبحة.

- ولم تتزوجى بعده؟

لست ضد الفكرة، لكن من المستحيل أن أجد

رجلا فى مثل جماله .

وفشلت فى مقاومة دمعة عنيدة، فقامت تلم الصور وقد أعطتنا ظهرها وهى تتحرك لتعيدها إلى مكانها فى الخزانة.

يبدو أن تأثرنا أخجلها ، فقالت: لقد أفسدت لكما القهوة، لابد من غيرها إذا . وحملت الإبريق وهى تحاول أن تجبر الوجه على ابتسامة، هى الأخرى لا تطيع.

متاهة الليل

الشارع مفتوح أمامه: نحو خمسمائة متر وينعطف يسارا. بعد مائتين: المقهى الذى يصف كراسيه الفقيرة على الرصيف، يدور معها يمينا نحو ثلاثمائة أخرى حتى ينفتح المجاز الضيق على الميدان الكبير، حيث القباب البيزنطية فوق المبانى التى تثقلها الزخارف الباروكية الضخمة وقد شوهتها لمبات النيون.

من الميدان ممر آخر خلف العمارة التى تخترق الأفق بواجهتها الصارمة من الألنيوم والزجاج. يجتاز المر محاذرا أن يدوس الخرق الى تخفى متسولى النهار.

مائة متر ويخرج إلى ضجيج شارع لا ينام. يقف فى مكانه المعتاد. يأتى الميكروباص. يلقى بنفسه داخله ويدير شريط يومه، بينما السيارة تعارك

غيرها على الطريق ، ودون أن ينبهه أحد، يطلب من السائق فى الوقت الصحيح التوقف ويغادر ساهما.

الطريق إلى البيت هو الطريق إلى البيت والساعة هى الحادية عشرة.

الشارع يضج بالحركة فى هذا الوقت من ليل الخريف المعتدل. هرولة أقدام نسائية وراءه، وقبل أن يلتفت كانت تعلقت بذراعه. ورغم لهاثها ، انتظمت فورا فى إيقاع خطوه المطمئن وهو بالمقابل لم يسألها من أين فرت وما سبب ذعرها. مضى كأنما ممتثلا لنبوءة قديمة.

استراحت ذراعه على صدرها الذى واصل انتفاضه، وفى الضوء الشحيح لم يكن من المتعذر اكتشاف غمازتى الخدين وطابع الحسن على ذقنها. وشيئا فشيئا بدأ البياض المشرب بحمرة لوجهها المستدير يحل مكان وهج الذعر. بينما كان بياض عينيها اللبنى الصافى يؤشر إلى عمرها بسنوات

أقل مما يرشحها قوامها الصاخب.

عند الانعطافة الأولى أفسح لها وتبعها محتضنا الهواء خلف هذه التى تملّكه إحساس عميق بأنها تخصه .

وفى الانعطافة الثانية كانت الألفة قد توطدت ، ونامت ذراعه التى طوقت الهواء من قبل على الكفل، والشعر الأسود المسترسل يدغدغ بنعومته أحاسيسه، ومع نسمة الهواء فى المجاز سرى إليه عطرها مثيرا ، ولم يعد يتذكر ما حدث.

يذكر أنهما عبرا الممر الأخير ، كانت تتقدمه متحاشية كثبان الخرق لكن الرحلة التى كانت تبدأ عادة بانعطافة إلى اليسار، ثم اليمين، فيسارا مرة أخرى، لا تنتهى إلى الشارع الصاخب، بل تقودهما إلى البداية من جديد.

صامتين يدوران، تتعلق بذراعه دون قلق وبلا إبداء للحيرة، وكأن كل شىء متفق عليه سلفا. يزيد من التصاقه بها فتسرى حرارتها إلى كيانه ويشعر

بدفق الدم فى قلبها تحت نهد ناعم مشاكس يقاوم ضغط كوعه.

أكثر من ابتسامة صغيرة ونظرة مشجعة عقب كل ضغطة من يده لم تكن تفعل، وأكثر من لهفة ذراعه عقب كل انفصال يضطران إليه لم يتعجل شيئا. كان الأمر يبدو طبيعيا حتى لأولئك الذين توالى مرورهما عليهم، لم يبد على أحدهم أى نوع من الدهشة، حتى حارس العمارة التى يقع فيها مكتبه ، الذى اعتاد أن يحييه مرة واحدة فى الليلة، كان فى كل مرة يجدهما أمامه يقف بأدب رافعا يده بالتحية دون استهجان أو سأم.

وفى كل دورة كان يكتشف شيئا جديدا فى الطريق الذى اعتاده لسنوات طويلة: دكان العصير الذى توقفا أمامه فى الجولة الثالثة، المطعم الصغير الذى انتبه إلى وجوده فى الجولة الخامسة أو السادسة، الرفاء العجوز الذى بدا من خلف دولابه الصغير أنه أمضى عمره هنا فى الفراغ بين

عمارتين لم يرهما من قبل منفصلتين، دكان العاديات الذى يعرفه ، انتبه لأول مرة إلى لافتته المكتوبة بالفارسية، البار المترب الواجهة بآثار حريق قديم أكل حروفا من اللافتة اللاتينية، يكشف فى عمقه المنخفض عن ظلال بشر تحت ضوء أصفر يغشى العيون. كلما أوغل الليل كشفت العمارات عن تباين طرزها، عن التلويحات والإشارات بين الشرفات والشبابيك المفتوحة، والعيون الملتصقة بفرج الشبابيك المغلقة، وكانت الأذن تستطيع تمييز الحركة العجلى والحركة المتأنية للأقدام فى الطوابق المنخفضة، أصوات التأوه وأصوات الشجار، وكان لديه من الوقت ما يسمح بتأمل وجوه المارة وتحولاتها ، الوجوه المسرعة المتدافعة بأعداد كبيرة صوب البيوت تختفى شيئا فشيئا لتحل مكانها وجوه متسكعى الليل بحيرتها الأبدية.

واليد التى ألفت دفء النهد، بدأت تبحث عن متع جديدة، متحسسة بأصابع متمهلة نعومة الرقبة

واستدارة الكتف، بينما تلاصق الجسدان وتعاشقت تضاريسهما فى حركتهما الرتيبة، وقد صار الشارع مملكتهما فى دورتين أو ثلاث قبل أن تهتز السماء بحركة استبدال ملائكة الليل بملائكة النهار ويستبدل الشارع الوجوه الحائرة بوجوه مطمئنة لشيوخ يدبون على عصيهم صوب مسجد يشبه نموذجا غير متقن للمسجد فى رسوم الأطفال، يراه لأول مرة.

ومع نور الصبح كان الشيوخ ينسحبون محاذرين أمام أخلاط المتدافعين إلى أعمالهم، ولم يعد من المناسب أن يسيرا متخاصرين فأفلتا ذراعيهما وسارا متجاورين.

عند الانعطافة اليمين تقدمته بخطوة تفاديا للزحام، صارت خطوتان، فثلاث، والفراغ بينهما ملأته الأجساد العجلى.

كان يتابعها بلا قلق، سعيدا بالتقاط الخيط الصحيح للطريق، وفى الممر الضيق خلف العمارة

التــجــأت إلى الجـدار مــهــرولة حــتى لا تصطدم بالمتسولين الذين يجرون خرقهم، هاربين أمام رجل غاضب يلعن قذارتهم .

وانفـتح الممـر على الشــارع الضــاج بالمركـبـات والبشر الذين ذابت بينهم، فوقف مستوحشا ينتظر سيارة تقله إلى البيت.

كانت تبتسم

جذابة، على الأقل ليست دميمة. يستطيع أن يؤكد ذلك. ربما لا يكون «التأكيد» هو الكلمة المناسبة هنا، ولكن هذا ما يعتقده ، أو يحدسه، مجرد حدس، لأن عينها لا تدع له فرصة يفكر إن كان يجدها جميلة أم لا .

التفاتة طفيفة من الوجه والعين تستدير لتكمل القوس، وهو يشعر بالامتنان للعين التى يعتقد أنها تبذل هذا الجهد لتراه.

صورة جانبية لوجهها تنطبع على الزجاج، ما يبدو من الوجه : أنف طويل مدبب كأنوف تماثيل الإغريقيات والعين السوداء التى تنظر ، فيها دعوة وفيها شرود، أو هذا ما كان يعتقد، وعلى الخد المطبوع فوق الزجاج كان يستطيع أن يميز بوضوح بثورا صغيرة، ربما آثار حب شباب لم يعالج جيدا .

يحاول أن يحيط بباقى الوجه، لكنه لا يرى إلا جانبا من عنقها الطويل وشحمة الأذن المثقوبة أوسع من المعتاد مع تهتك واضح بالثقب الذى يبدو ملتهبا. شعرها المعقوص الخشن، ليس طويلا جدا، وغير مكتمل السواد، تحته دوائر من الزغب البنى الهارب من توكة على هيئة ضفدع.

يعتقد أنها تنظر إليه وتتظاهر بتأمل الشارع، فيبتسم لها ، وهى لا تبتسم ، لكن الواضح أنها تنظر. هل تتظاهر بالشرود انتظارا لخطوة أخرى منه أم أن صورته لا تنعكس عندها؟

يبتسم مرة أخرى، فى الحقيقة ليست ابتسامة، بل مجرد حركة شاحبة تركها موروطة على وجهه مثل عصفور أرخى عنه الصياد قبضته فى نهاية يوم صيد عاثر.

جمود نظرتها لا يزكى اعتقاده بأنها رأت ابتسامته أخيرا، ولكنه محق فى الغالب، وإلا لماذا تحرك كتفيها بحثا عن يديه الممسكتين بالكتاب وراء ظهرها؟

تفتح حقيبتها وتخرج كتابا، تقلب الصفحات قليلا وتتراجع عن فكرة القراءة فى هذا الضوء الشحيح . تعيد الكتاب إلى الحقيبة تتجه إلى الخارج فيصنع تنفسها بقعة من الضباب على الزجاج تخرج منها صورتها غائمة كما فى حلم .

لم يلاحظ من قبل هذا الزحام. يعتقد أنهم يراقبونه، يدير عينيه بحذر ، يستطلع الفخاخ المنصوبة فوقه فى أزواج من العيون الغامضة . يصالب ذراعيه على ظهر مقعدها. يحصى الأشياء المتاحة للعشاء : ثلاث شرائح من الجبن الرومى، بقايا فول فى الطبق، حبتى طماطم، ورغيفين.

من غير اللائق أن تتلقى فى البداية هذا الانطباع عنه، فى الحقيقة ليست مجرد لياقة ، الأمر يتعلق بصورته ، ليست صورته فقط، ولكنه يعتقد أن عليه الاحتفاء بها، لأنها تبدو وحيدة أكثر من المعتاد .

كيف ستنظر إليه عندما ترى الصحف المبعثرة، وبقايا الخضر وفتات الخبز على الكليم المتسخ،

وكومة الملابس على السرير العارى، ليته رتب الشقة قبل أن يخرج، فكر أنها ربما تحب هذه الفوضى كى تحيلها إلى نظام بينما يأخذ دشه، سيتقاطع صوتهما مع صوت عبد الحليم الذى سيرفعه أكثر من المعتاد حتى لا يسمع الجيران صوتها.

يلاغى صورتها على الزجاج، يرسل ذات الابتسامة. يعود إلى تناومه خلف ظهرها، يضغط بركبتيه ، يفكر : كيف يتسلل بها دون أن تراه العيون الملتصقة بالعدسات السحرية للأبواب؟ ماذا لو فتح أحدهم الباب فجأة ؟! ماذا لو تركوه يصعد بها ثم طرقوا عليه الباب؟! اعتقد أنه يبالغ فى تقدير السوء فأنب نفسه، وضغط بركبتيه مرة أخرى قبل أن يرفع رأسه.

يدور بعينيه فى حركة يحاول أن تبدو عفوية فى انزلاقها على الوجوه قبل أن يتظاهر بالنظر إلى الخارج، بقعة الضباب على الزجاج تبدو أكثف، وتخرج منها عين كبيرة، يعتقد أنها ليست شاردة كما تحاول أن تبدو ، بل مخيفة.

إيماءة واحدة

يطمئن على هيئته فى المرآة، يتحسس مفتاحه فى جيبه قبل أن يجذب الباب وراءه وينزل الدرجات العشرين، بعدها يجد نفسه فى الشارع، يتفادى الواقفين أمام محل اللعب صاخبين بأطفالهم، وعند فتحة الباب يتمهل متأملا المرأة التى تبدو فى مثل سنه أو أصغر قليلا، بشعرها الأسود الناعم، ولباسها الرياضى ووجهها المنمنم المرح الذى يشبه وجوه الدمى التى تبيعها. ينتظر حتى ترفع رأسها فيبتسم لها ويلقى التحية.

يفعل ذلك مرتين فى اليوم على الأقل، باستثناء فترات محدودة خضع فيها المحل للتجديدات، ووجد نفسه أثناءها يدور مع الاتجاه الآخر للرصيف، ولم يكن هذا بسبب إشغال مواد البناء، فقد بقيت دائما مسافة يمكن المرور منها، لكن شيئا ما كان يدفعه

إلى الاتجاه الآخر، وهو يردد لنفسه : لست مضطرا لإلقاء التحية على عمال غرباء لن أراهم بعد.

فى الفترة الأخيرة اضطر لاستخدام عصا تدعمه فى مواجهة صدمات المتدافعين على رصيف كثرت فيه الحفر.

وصار أكثر تمهلا أمام واجهة المحل، مندهشا من التغير الكبير الذى بدا وكأنه طرأ فجأة على أسعار وأشكال وخامات اللعب، وعلى نوعية الزبائن، وحتى على المرأة نفسها التى صارت أكثر بدانة، وخف شعرها الذى كان غزيرا وانقلب سواده الفاحم إلى اللون الرمادى. شىء وحيد حافظت عليه هذه المرأة طوال عشرين عاما: النظرة المترفعة لإلهة فرعونية، وهى تومئ له بصرامة آلية، وبلا تغيير وكأنها إيماءة واحدة تحتفظ بها من أجله.

بدأ يرفع يده بالتحية أكثر من المعتاد دون أن ينجح فى تغيير إيماءة المرأة التى لا تتوقف عن الضرب على آلتها الحاسبة أو المناقشة مع الزبائن أو ملاطفة

أطفالهم، فبدأ يدخل المحل، مشيرا إلى كيس مشترياته :

- انظرى ! لقد اشتريت معجون حلاقة جديد، وهذه بكرة خيط، لم يعد أحد يحسن صناعته هذه الأيام، أزرار القميص دائمة التساقط، والغلاء لا يرحم.. تتذكرين بكم كنا نشترى هذه؟ والأزرار ! انظرى! .. يقولون إنها مستوردة، وكأن كل هذه السنوات لم تكفنا لنحسن صناعة الأزرار .

يواصل كلامه، والبائعة لا تزيد على أن تمط شفتها ، مستمرة فى الضرب على الآلة فيجر كرسيا ويجلس إلى جوارها، ويطلب من الفتاة المساعدة فى أن تحضر له العروس التى فى آخر واجهة العرض من اليمين أو الدب الراقص أقصى اليسار أو المسدس الذى فى الوسط أسفل القناع.

تتلقف المرأة الصندوق من مساعدتها ، تضرب الثمن على الآلة، فيخرج حافظة نقوده، ويعد محافظا على لهجته الودود: لا أعرف إذا ما كانت

هذه اللعب ستروق الأطفال، لدى العديد من الأحفاد، صحيح هم هناك مع آبائهم، ولكنهم سيعودون ولابد أن أكون مستعدا، حتما سيعودون، أنا طلبت ذلك.. تصورى أن يكون عندك حفيد ولا تستطيعين أن تتبادلى معه كلمتين بالعربيه!

عندما يلاحظ أن المرأة لا تتابعه يبتسم فى خجل قبل أن يكمل: لست أعرف ما الذى يقوى أبناء هذه الأيام على الغربة؟

ويمد يده ملتقطا الكيس، ويقوم مستندا على عصاه.

صورة جانبية

لم تتهلل لسماع صوته ولم تهتف : «حبوبى!؟»

أجابت بصوت مختنق: أهلا دكتور خالد. للأسف الموضوع لم ينته بعد، الرجل لم يرد على، عندما يكون هناك جديد سأبلغك.

وكان هو على الطرف الآخر يسألها ملهوفا: أى رجل وأى رد؟

قالت بصوت منخفض: عفوا، سأطلبك بعد لأننى عند ناس، وأضافت بحسم: مع السلامة. ماذا حدث؟ هل مات أستاذها العجوز وهى الآن فى العزاء؟ وحتى إذا حدث، الآخرون لايعرفون العربية، فلماذا كل هذا التحفظ؟ كانت تستطيع أن تسيطر على لهجتها وتقول لى بالحسم نفسه: أهلا حبوبى.. فى الواقع أستاذى مات، أو حبوبى أنا الآن فى مستشفى لأن زميلا تعرض لحادث . هناك شىء غير مفهوم.

أزاح الستارة متأملا عتمة آخر النهار فى الشتاء الذى حل فجأة، لم تمنحه الفرصة ليعلن لها عن فرحه بوجود الضباب الذى يشعره بأنه معها هناك. تغير إحساسه بالفصول منذ عرفها ، يحدثها عن شعوره بأنها قريبة عندما يحل الشتاء، كان إحساسا حقيقيا، ولكنها كانت تعتبر ذلك محاولة لمواساتها تأتى دائما بعكس المطلوب، إذ تتهمه بأنه يحبها أقل، أو بامتلاء حياته دونها، بينما لا تكف هى عن البكاء طوال أشهر العتمة. وتسأله: ماذا تعرف أنت عن وحشة الصقيع والظلام عندما لا ترى إلا ظلالا مهرولة محتجبة داخل طبقات الصوف والقفازات السوداء مثل مومياوات سجينة تحت طبقات الكتان والراتينج؟

انتظر أن تطلبه - ربما بعد دقائق عندما تجد الفرصة - لتوضح له الأمر، أشعل النور وأخذ يقلب فى قنوات التليفزيون ثم أغلقه بعصبية . عاد إلى التليفون ، تأكد أن السماعة فى مكانها الصحيح،

دخل إلى المطبخ ، أعد لنفسه كوبا من الشاى، ثم جلس شاردا، وبين لحظة وأخرى يقوم ليتأكد من وجود الحرارة.

فى الأمر شىء غير مريح، وأية أزمة لا تبرر هذا التحفظ ، لأول مرة يحس الحزن ماديا وموجعا، شىء يلسع جلده مثل حرق النار. اتصالهما السابق لم يمض عليه سوى ثلاثة أيام، كانت تطير من الفرحة عندما سمعت صوته، واليوم يفتح ذراعيه متهللا فإذا بها تمد ذراعا على استقامتها لتضع بينهما حدا فاصلا.

أهلا يا دكتور خالد! هل يمكن أن يتحول الإنسان هكذا فجأة؟ هناك أزمة حقيقية سأعرفها فى الصباح عندما أصحو على تليفونها ، سنتفق على شرب القهوة معا، ستغلق الخط خمس دقائق ثم تطلب مرة أخرى لنتبادل صوت الارتشاف.

أراحته هذه الأفكار ، وتراجعت آلامه أمام إحساسه بأنه يظلمها ويبالغ فى تقدير السوء ،

أحس بوخز خفيف للشجن المغلف بالرضا فقام إلى سريره، سريرهما الذى طالما سهرت فيه على نومه، تحرس سكونه ، كلما أزاح الغطاء وضعت ما يدفئ الجزء المتعرى من جسمه، قميصا ، بيجامة، أو منشفة حتى لا تقلقه إذا ما حاولت إصلاح غطاءه.

مد يده إلى الطاولة الصغيرة وجذب التليفون، وضعه إلى جواره فى السرير وغاص فى ظلام تحت الأغطية مثل ساحر يستحضر روحها، ركز حواسه فى أذنه مستعيدا صوتها من تشوش الخط إذ تطلب منه أن يمارسا الحب.

عندما طلبت منه ذلك أول مرة كان مندهشا، وردت عليه: حبوبى المتوحد لا يعرف كيف أواصل العيش فى غيابه!

سألها : كيف يا حبوب؟ أجابت خجلة: عندما تأتى سأريك، وأجهشت.

أغمض عينيه فتشكلت صورتها على ظلام

الجفون حزينة وقريبة، وسرعان ما غامت مثل صورة على شاشة عرض تنطفئ.

عندما استيقظ فى الصباح تحسس التليفون ، قبل أن يفتح عينيه التقط السماعة مستمعا إلى صوت الحرارة الذى جاءه قويا متحديا، كان يتمنى أن يجدها مزاحة عن مكانها، أن يكون تقلب عليها فى نومه، لكن وشيشها المذل كان مثل طنين خلية نحل هائجة تلتهم كبرياءه.

كانت الساعة قد تعدت التاسعة ورغم ذلك كان الضوء النافذ من خلال الشباك أقل إلحاحا.وكان الشتاء يؤكد حضورة الذى ما عاد مبهجا، قاوم فتورا وإحساسا بالبرد ، غادر السرير إلى الحمام وهو يستعيد حوارهما بالأمس، يستعيد نبرها فى كل حرف نطقت به، مزيحا الغضب ما أمكنه، سعيا إلى فهم ما يمكن أن تقوله الكلمات من خلال الإنصات العادل والحساس للنبر، ما قد يكون غاب عنه. ولم يقده هذا إلى حيرة أقل .

فى الأمر شىء ، وإلا كيف استطاعت أن تنام ليلة دون أن توضح له ما حدث؟ ورغم ذلك أقنع كبرياءه أنها ربما تكون فى أزمة كبيرة، وعاد إلى التليفون مديرا رقمها، جاءه صوتها حزينا ولكن أكثر تماسكا هذه المرة، قالت : أهلا يا دكتور.

ومرة أخرى شعر باليد المتصلبة تبعده، فطار اسم تدليلها عاليا أبعد من أن يطوله لسانه، قال كمن ينطق اسما غريبا لأول مرة: ماذا حدث يا جمانا؟ هل مات أستاذك؟

قالت بانزعاج: بعيد الشر .. لماذا تفكر بهذه الطريقة؟

- فكيف تريديننى أن أفكر إذا؟

- لا أستطيع أن أشرح الآن.. أنا فى السيارة وعندما أعود بعد الظهر سأكلمك.

- قولى الآن.. ماذا حدث.. هل الأمر يخصنى؟

- يخصنا يادكتور!

- كنت عند أمجد بالأمس؟

- نعم
- هل أحببت هذا الولد؟
- هذا ما يهمك ؟ أنت لا تفهم.. أرجوك دعنى الآن، الطريق خطر. سأطلبك عندما أعود.

اعتبر أنها لاتقصد الإهانة بـ «أنت لا تفهم» التى أرجعها إلى قصور فى استخدام اللغة نتيجة إقامتها الطويلة بالخارج.. لكن ما هو الذى لا أفهمه؟! لقد أحببت ذلك الشاب الذى حدثتنى عنه من قبل، قالت إنه وصل حديثا وإنه خجول ويعانى صعوبة كبيرة فى التكيف وإنها تحاول مع زميلها العربى الآخر أن تساعده ، والشاب على ما يبدو فهم الأمور بشكل مختلف.

كان مستلقيا على ساقها وهى تحكى له عن ذلك الولد، طلب منها أن تعالج الأمور بحسم حتى لا تنتهى المساعدة الإنسانية بصدمة . واضح أنها فشلت ونجح الولد، اصطادها بضعفه.

ماذا كانت تصنع عنده، وربما عندها! هل

افترشت معه الأرض بعيدا عن السرير اللين؟ هل نامت معه فى بيجامتى؟

كانت تنظر فى عينى وتقول: أنت شيطان، ماذا صنعت لكى أحبك كل هذا الحب؟ ثم يتغير صوتها إلى نوع من التوعد الحنون.. تعرف حبوب! سأتركك عندما أستطيع ، هذا ليس حبا، أنا أعرف الحب هذا جنون.. هذا جنون، ويرتفع نشيجها.

أخيرا تحررت كما وعدت!

هكذا فجأة؟!

منذ ثلاثة أيام هتفت: ازيك حبوب.. عامل إيه يا روحى؟ حبوب.. ماذا كنت تفعل بالأمس فى الحادية عشرة والنصف؟ آه يا ناسى .. تعرف أين كنت أنا ؟ معك حبوب .. كان حلو . ومدت فى الحاء المكسورة كما لو كانت تطيل فى أمد اللذة، وأضافت : ربنا يخلى آثار حبوبى المشغول.

وضع الشريط الذى أرسلته منذ أسبوعين فى الكاسيت، كانت تبكى ، تصف له كل ما تمر به

بعيدا عنه. استلقى فى السرير مغمض العينين، صوتها الدافئ غير قادر على تجسيد صورة الحبيبة. الصوت الصارم الذى جاءه فى التليفون يقف مثل شرطى شرس يمنع هذا الدفء من الاقتراب فيظل مجرد صوت بعيد وشائع وموجه إلى لا أحد.

أخرج من درج الكوميدينو ألبوم صورهما، فتح على صورة وجهها الغارق فى الحزن مع دخان السجائر، صورة جانبية تلفها العتمة، لا يعرف لماذا اختارها مفتتحا لمجموعتهما رغم تعارضها مع الصور الأخرى البالغة الفرح: فى مركب أمام جزيرة فيلة تخفى وجهها من الكاميرا بين دفتى سترتها، من وراء أحد أعمدة الكرنك تخرج لسانها، فوق.. فى برج القاهرة تتطلع إلى سحابة الدخان التى تلف المدينة وتقول بحنان : تعرف حبوب! حتى هذا الهواء الملوث أحبه لأجلك، تحت قوس النصر تضع سبابتها فى أذنيها مرفرفة باليد علامة الجنون غير

منتبهة لضحكات المارة، على تل معشب عند سفح الجبل الأحمر تهم بإمساك حصان يرعى ، وسط بحر من خضرة السرو المتعددة تقبل غصنا ووسط جدول فى وادى البيرة تقذف الماء البارد من فمها فيصنع قوسا من حبات الكريستال ، بين أطلال أوجاريت ترسل قبلة باتجاهه ، فى ساحة الفنا تلف ثعبانا على رقبتها وتضحك من خوفه عليها.

كل صورة تهجم عليه بذكرياتها مثل جيش من الأعداء وهو محاصر فى سريره، والتليفون حليف لم يعد يوثق به. مع تكرار الصوت فى الشريط، وتكرار تأمل الصور بدت ما كانت حتى الأمس حياته، ذكريات موغلة فى البعد أو أحداث عاشها شخص آخر.. شخص اسمه «حبوب» يشعر الآن بالحسد تجاهه ويتمنى أن يكونه ويتنازل عن درجته العلمية التى ناداه بها صوت جارح .

استدارت الشمس أو اختفت ، لأن العتمة أحكمت داخل الغرفة، أشعل النور، وكان الصوت فى

التسجيل يبكى: تعرف حبوب! رائحتك غادرت البيجاما بشكل كامل، وفى الصورة المطروحة أمامه كانت تبتسم من فوق ظهر حمار فى حقول القفطية وقد ارتدت بنطلون جينز وبلوزة بيضاء تخصه يتشيطن فيها نهداها . أعاد الألبوم على الصورة الحزينة لتنسجم مع الصوت ثم أغلقهما معا. جذب التليفون وأعاد ضرب رقمها، جاءه صوت مسجل يعلن أن الرقم المطلوب خارج نطاق الخدمة وأنه يمكنه ترك رسالة فى بريد الشبكة.

قال بصوت مختنق: هل أحببت أمجد يا جمانا؟

مواقيت البهجة

فى الحادية عشرة تنفتح شرفة الحمام، فتكشف عن ارتعاشات حرير القميص ناصع البياض يتهلل مثل كلب حول سيده الجسم الأشقر الشاهق.

بين يديها طبق من البلاستيك تضعه على كرسى بالشرفة، تتناول منه قطعة ملابس وتنحنى لتعلقها على حبل الغسيل. نسمة الهواء ترعش الحرير فيلجأ إلى مزيد من الالتصاق ، محتضنا النهدين، مبالغا فى الكشف عن عمق الوادى الذى يمتد لينفتح على ضمور البطن والخصر مرتقيا كثبان الردفين، متلعثما بين استدارتى الفخذين.

بين الحين والحين ترتفع ذراعها لتعيد تسوية الشعر البنى المقصوص، كلما اعتدت خصلة على العين ، ولكن الحركة العفوية للذراع البيضاء المضيئة التى أرادت أن تكون قوة سلام تتحول إلى نداء

مـحـرض يسـتنفـر العين لتنوب عن الحـواس الأخـرى وتتذوق كامل متعها.

وفى الوقت الذى تزيح العين فـيـه كسلهـا وتبـدأ فى تلمس حرارة ذلك الجسم وشم عطره الصبـاحى، والاستماع إلى تخسرات استرخائه، تكون قد انتهت وأرسلت نظرة لا مـبـاليـة واسـتـدارت بنزق تحـايل دوامـات الحـرير التى تعـوق حـركـتـهـا، وتمسك بمصراعى الباب وتغلقه وتختفى سريعا، لكن اهتزاز المصـراعين غـيـر مـحكمى الإغـلاق لا يكف عن الوعد بعودتها المفاجئة لتحتل من جديد الحيز الذى تركته مـحـروسـا بآلاف من الكائنات بالغـة الدقة، تحـمى بإخلاص حدود تموجاته التى يداعبها الهواء.

ولن يستجيب الجسم النزق لوحشة القالب المنتظر، لكنه يشرق فى مكان آخر. بعد نصف ساعة تنفتح الشرفة الرئيسية، وتخرج الخادمة بعصبة رأسـهـا وجلبـابها الريفى الأسـود كـمـقدمة صـادمة يصنعـهـا مخرج محترف، ولا تلبث أن تتبعها فى شورت جينز

أزرق مع بلوزة نصف كم سماوية فضفاضة. لايبدو أن هناك ما تغير، رغم استبدال ارتعاش الحرير على النهدين بهمود القطن، كما أن صلابة نسيج الشورت لم تتمكن من إخفاء استدارة الردفين، ولم يكشف عرى الساقين عن جديد أخفاه القميص السادل أو أخطأ فى تصويره. وكأن آلاف السنين التى احتاجتها البشرية لكى تصل إلى التوازن الضرورى بين الكشف والإخفاء للجسم الإنسانى تبددت، والملابس التى عاشت قرونا كثيرة بغبطة سجان لا يفرق فى سجنه بين البشاعة والجمال، وجدت نفسها أخيرا مأمورة لا تملك إلا أن تطيع وتنثنى بذلة لتقدس هذه البهجة التى ـ لحكمة ما ـ تجسدت فى تموجات لحم بشرى.

تبدو منشغلة ، توجه الخادمة وترشدها إلى أماكن اختفاء الغبار، ثم تفلت نظرة، مراوغة هذه المرة: ليست بريئة تماما، ولا يمكن اعتبارها لعوبا هكذا ببساطة ، نظرة استطلاع لجميع الكائنات

الظاهرة والخفية تتأمل بلا مبالاة الحسرة التى تتلبس وجوهها فى تلك اللحظة، لحظة انسحابها إلى الداخل.

بعد أن تنتهى الخادمة، تعود هى فى بلوزة سوداء ضيقة بلا أكمام مع شورت زيتونى، فى يدها كوب خزفى تشرب شيئا ما ، وكلما رفعت يدها بالكوب ظهر تحت إبطها مع لقطة جانبية من للنهد الوردي المتململ تحت ضغط البلوزة المطاطة. عندما تنتهى من شرابها تلقى نظرة رحيمة بالكون، وتستدير لتختفى بعد أن تمد يدا معابثة فتغلق جانبا من الباب.

بعد خمس دقائق تعود مسرعة إلى الشرفة، تنحنى قليلا فيبدو النهدان بتمامهما وقد كشفت عنهما الفتحة الدائرية للبلوزة، ، تمد يدها لتقبض على الفتحة وتنادى البواب ليحضر زجاجة ماء.. وتلقى بالأمر فى حنان مثل ملكة من عامة الشعب ، وبثقة تجعلها لا تنتظر جوابا.

فى الثانية تعود فى بيجامة من الحرير الأبيض يستريح على صدرها رأس طاووس يمتد جسده منكسرا على البطن، ولا ينتهى ذيله إلا على الفخذ مستسلما تحت الحزام الذى يشق طريقا للفتنة بفصله الصارم بين ضمور الخصر وامتلاء الردفين. تميل لتأمر البواب بإعداد السيارة. وبعد عشر دقائق تطل لترى إن كان انتهى، وفى هذه المرة تكون قد ارتدت زى الخروج: جاكيت بلا أكمام يدق على الخصر وينتهى تحته بقليل مشاركا البنطلون الملتصق متعة احتواء الردفين. يجاوبها البواب مبتهجا، فتعتدل وتطلق نظرة إلى لا أحد، وتنسحب إلى الوراء مثل بطلة تحتم عليها التقاليد ألا تولى ظهرها للجمهور الذى التهبت أكفه من التصفيق فى نهاية العرض.

بعد خمس دقائق تنزل، حقيبتها الرياضية فى يدها ، تخفى عينيها تحت نظارة شمسية، فيهرول البواب مغادرا السيارة ويمسك لها الباب كسائس

يروض فرسا، تجلس إلى عجلة القيادة، وتلقى بالحقيبة إلى البواب ليضعها على المقعد الخلفى، وقبل أن يكمل دورته حول السيارة متأكدا من إحكام الأبواب، تكون قد أقلعت وهى تلوح باقتضاب لأطفاله وزوجته الذين اصطفوا ملوحين.

بعد ساعتين تعود، فيقفز البواب ليتولى إعادة السيارة إلى المرآب بعد أن غادرتها واختفت سريعا كنجمة تخشى كاميرات التصوير . وستمضى ساعة طويلة قبل أن تظهر مرة أخرى فى الشرفة، ترتدى بنطلون جينز أزرق مع بلوزة بيضاء مستسلمة فى ليونة فوق شموخ النهدين اللذين تستقر بينهما قلادة يرتد عليها شعاع الأصيل طائشا فتبدو شقرة الوجه والذراعين سمرة برونزية مخاتلة. وكمن يتراجع فجأة عن فكرته ، تعود من منتصف المسافة بين الباب والسياج، تدخل وهى تجذب الباب، فينغلق نصف إغلاقه.

ومع مغيب الشمس تعود بالكوب فى يدها، تجلس

نصف مختفية وراء عمود يستر جانبا من الشرفة. تشرب وتنظر إلى الأفق المخضب. ثم تقوم ، تتكئ على السياج ، تلقى نظرة على الأرض قبل أن يهتز نهداها بحيوية وهى تستدير لتدخل.

تضىء نورا خفيفا يتردد معه طيفها ، فى حركة إقبال دائمة من عمق الشقة باتجاه الشرفة، وكأنها تهم بالخروج ، ولكنها فى كل مرة تتبدد قبل أن تصل إلى الباب، لتتخلق من جديد عند نقطة البدء مثل موجة.

وفى العاشرة يظهر ظل ضخم لرجل تتبعه إلى الشرفة ، وتلقى بنظرة مستطلعة قبل أن تجلسَ فى مواجهته . النور القادم من فتحة الباب الضيقة يضىء قطاعا من المنضدة الصغيرة بينهما . وبين وقت وآخر تدخل لتعود بشىء على صينية فى يدها.

يتراجع داخل كرسيه وتجلس هى على طرف كرسيها، فى سكون لا يقطعه إلا حركة يدها باتجاه النور بين وقت وآخر فيما يبدو تلويحة أو

استطلاعا للساعة التى تلمع .

ومع انتصاف الليل يقوم فتتبعه جاذبة مصراعى الباب بلطف .

المحتوى

وداع آخـــر 7

أشياء تلمع فى العتمة 15

هذا ما حدث 27

أسنانها بشكل خاص 35

البعيد 43

نظرته 51

سيدة الفيلا 57

متـاهة الليل 65

كانت تبتسم 75

إيماءة واحـدة 81

صورة جانبية 87

مواقيت البهجة 101

صدر للكاتب

* حدث فى بلاد التراب والطين (دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٢)

* مدينة اللذة (أصوات أدبية - القاهرة ١٩٩٧)

صدر مؤخرا عن (أصوات أدبية)

٢٠٢ - بالأصابع التى كالمشط .... شعر : محمد سليمان

٢٠٣ - كويلا ....قصص : يحيى مختار

٢٠٤ - الشرنقة .... قصص : سليمان فياض

٢٠٥ - مدينة اللذة .... رواية : عزت القمحاوى

٢٠٦ - كتاب الأرض والدم .. شعر : محمد عفيفى مطر

٢٠٧ - طراوة العين ....قصص : نبيل نعوم

٢٠٨ - نخب اكتمال القمر ....قصص : ابتهال سالم

٢٠٩ - طلل النار .... قصص : يوسف أبو رية

٢١٠ - الواحد الواحدة .... شعر : حلمى سالم

٢١١ - فوق الحياة قليلا .... رواية : سيد الوكيل

٢١٢- برجالاتك .... قصص : أمين ريان

٢١٣- وقائع استشهاد اسماعيل النوحى: رواية: سمير ندا

٢١٤ - فخاريات .... شعر : اسامة شهاب

٢١٥ - رجف الذاكرة .... قصص : رضا امام

٢١٦ – تفاصيل وتفاصيل أخرى.........شعر : ابراهيم داود

٢١٧ – هى وخادمتها .... قصص : هناء عطية

٢١٨ – كتاب العشق .... شعر : عبد الدايم الشاذلى

٢١٩ – حكايات جار النبى الحلو.. قصص : جار النبى الحلو

٢٢٠ – الحنين .... شعر : عبد العظيم ناجى

٢٢١– نسيم الصبا.................... قصص : زينب صادق

٢٢٢– بندق .... قصص : محمود حنفى

٢٢٣– الغالب والمغلوب............ رواية : مصطفى الأسمر

٢٢٤– مساحات للتعب .... شعر : سمير عبد الباقى

٢٢٥– مشتهيات .... رواية : سهام بدوى

٢٢٦– أشعار .... شعر : ابراهيم رضوان

٢٢٧– القابض على الجمر .... قصص: رفقى بدوى

٢٢٨– حلاوة الروح .... شعر : أمين حداد

٢٢٩– يونى سكس .... قصص : علاء البربرى

٢٣٠– الأرض جحيم الخائفين .... شعر : حسن عقل

٢٣١– حلوانى عزيز الحلو .... رواية : محسن يونس

٢٣٢– فراديس الحوارى .... شعر: ابراهيم خطاب

٢٣٣- مقاطع من جولة ميم الملة ...... قصص: حافظ رجب

٢٣٤- هذا دمى وهذا قرنفلى .... شعر : وليد منير

٢٣٥- توتة مائلة على نهر .... قصص: محمد ابراهيم طه

٢٣٦- معلَّقةٌ بشص .... شعر : فريد أبو سعدة

٢٣٧- موسم الرياح .... رواية : سمير المنزلاوى

٢٣٨ - كيف طاوعك الرحيل؟........... شعر : مختار النادى

٢٣٩- تحولات إنسان عابر......... قصص : جمال زكى مقار

٢٤٠- خيانات ذهنية .... قصص : مى التلمسانى

٢٤١- ذهبت إلى شلال.................... قصص: بهاء طاهر

٢٤٢- حالات التعاطف .... قصص: نورا أمين

٢٤٣- تل القلزم .... رواية : محمد الراوى

٢٤٤- لحظات غرق جزيرة الحوت .... محمد المخزنجى

٢٤٥- صور من ألبوم نيويورك........... شعر : أحمد مرسى

٢٤٦ - بروفات.......................... قصص : عفاف السيد

٢٤٧- ريحة البلاد التانية .... شعر : ابراهيم سلامة

٢٤٨- ثلاثية الوجع .... قصص : بهاء السيد

٢٤٩ - تعاسات شكلية............. قصص : محمد الشاذلى

٢٥٠ – كوميديا .... شعر : فارس خضر
٢٥١ – آخر حبه مزيكا .... شعر : صادق شرشر
٢٥٢– السيدة التى .... قصص : صبرى موسى
٢٥٣– شال من القطيفة الصفراء... قصص : عبد الوهاب الأسوانى
٢٥٤– فى هذا الصباح ...... قصص : أبو المعاطى أبو النجا
٢٥٥– دكه خشبية .... رواية : شحاته العريان
٢٥٦– زهرة البستان .... قصص : فؤاد قنديل
٢٥٧– الجرذان .... قصص : فاروق حسان
٢٥٨– أسفار الملك الضليل .... شعر : حسن النجار
٢٥٩– هذا ظل الأرض على قلبى..... شعر: فتحى فرغلى
٢٦٠– ذلك الجانب الآخر .... شعر : حسن سليمان
٢٦١– الحياة مش بروفة .... شعر : مجدى الجابرى
٢٦٢– شخص غير مقصود.... قصص : منتصر القفاش
٢٦٣– عمل نبيل .... قصص : إدوار الخراط
٢٦٤– طارت مناديل السعاده..... شعر : طاهر البرنبالى
٢٦٥– حارس الغيوم..........قصص : سمير عبد الفتاح
٢٦٦– المسافر الأبدى(قصص وحكايات).........: علاء الديب

٢٦٧- ثنائية الكُشر .... رواية : حجاج حسن أدول

٢٦٨- مكاشفات شخصية .... شعر : بهاء جاهين

٢٦٩- أقانيم .... قصص : اسماعيل البنهاوى

٢٧٠- مرايا الذات الأخرى .... رحلة : صبرى حافظ

٢٧١- ديوان غزالى .... كابتن غزالى

٢٧٢- الصنم .... رواية : أشرف الخمايسى

٢٧٣- منازل القمر .... قصص : سُمية رمضان

٢٧٤- مواقيت البهجة .... قصص : عزت القمحاوى

رقم الإيداع ١٦٨٨٨/٩٩

الأمل للطباعة والنشر

قسيمة اشتراك

إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة

الاســـــــم : ....

العنـــــــوان : ....

رقم التليفـــون : ....

حوالة بريدية رقم : .... باسم الهيئة العامة لقصور الثقافة بمبلغ : ....

التوقيع :

م	اسم السلسلة	موعد الاصدار	قيمة الاشتراك ٦ أشهر		قيمة الاشتراك سنة كاملة
١	أصوات أدبية	نصف شهرية	١٢		٢٤
٢	إبداعات	نصف شهرية	٦		١٢
٣	كتابات أدبية	شهرية	١٢		٢٤
٤	آفاق الترجمة	شهرية	١٢		٢٤
٥	آفاق الكتابة	شهرية	٦		١٢
٦	الذخائر	شهرية	٣٠		٦٠
٧	ذاكرة الكتابة	شهرية	١٨		٣٦
٨	مطبوعات الهيئة	شهرية	١٢		٢٤
٩	الدراسات الشعبية	شهرية	١٢		٢٤
١٠	عين صقر	شهرية	٦		١٢
١١	مجلة الثقافة الجديدة	شهرية	٦		١٢
١٢	مجلة قطر الندى	نصف شهرية	١٦		٣٢
١٣	مجلة آفاق المسرح	فصلية	٤		٨
١٤	آفاق الفن التشكيلى	شهرية	٢٤		٤٨
١٥	الجوائز	شهرية	٦		١٢
١٦	آفاق السينما	فصلية	١٨		٣٦

ضع علامة (✓) أمام السلاسل التى تريد الاشتراك فيها فى المربع الخاص بمدة ستة أشهر أو سنة كاملة

ترسل على عنوان الهيئة العامة : ١٦ أ ش أمين سامى - قصر العينى - القاهرة.

ت : ٣٥٦٤٨٤١ - ٣٥٦٤٨٤٢ - فاكس : ٣٥٦٤٢٠٢

الرقم البريدى : ١١٥٦٢